
المتكلمون
في المهد
جهاد حجاج
العلم والإيمان للنشر والتوزيع

المتكلمون في المهد

تأليف
جهاد حجاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٢٤٢
ج . ح

حجاج ، جهاد .

المتكلمون في المهد / جـهـاد حجـاج
.- ط١.- دسوق : العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠.

٩٢ ص ؛ ١٧,٥ × ٢٤,٥سم .

تدمك : ٦ ـ٢٩٢ ـ ٣٠٨ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨

١. المعجزات.   أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٠٧٥١.

الناشر : دار العلم والايمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة

هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
E-mail: elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

٢٠١١

الإهــداء

وفـاءً منـي إلى الـذين يؤمنـون بكتـاب الله وآياتـه ومعجزاتـه الـتي أيـد الله

بهـا الأنبيـاء علـيهـم الـسلام أجمعــين وإلى أوليــاء الله الـصالحين الـذين اتبعـوا

الحق فأيدهـم الله بالكـرامات وجعلها آية من آيات الله .

وإلى الأرض التي عليها قبري . وإلى أهل قريتي .

جهاد محمد حجاج

عضو اتحاد الكتاب الإفريقيين والآسويين

المقدمة

الحمد لله القادر المقتدر الفعال لما يريد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين سيد الأولين والآخرين .

وبعد

الحمد لله الذي وفقني لهذا العمل تحت عنوان (المتكلمون في المهد) فقد ذكرنا بفضل الله وعونه المتكلمين في المهد وذكرنا أولهم سيدنا عيسى عليه السلام لما ذكر القرآن عن كلامه في المهد ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[1]

كما أن الله عز وجل أيد سيدنا عيسى بالعديد من المعجزات منها : أن الله خلقه من أم دون أب ، والعديد من المعجزات التي جعلها الله كلامه في المهد ، وهو طفل رضيع لم يتجاوز عمره الشهور ، وربما بعض الأيام ، كما تكلمنا عن شاهد نبي الله يوسف الذي شهد ببراءته عندما أرادت زوجة عزيز مصر أن تغرر به ؛ ليقع في الفاحشة معها ؛ لكن الله عصم الأنبياء من الخطايا وفعل الذنوب ، فنطق الشاهد هذا وهو طفل رضيع ، وأظهر الله كلامه في المهد براءة عبده ونبيه يوسف عليه السلام ؛ ولكن رغم ذلك قدر السجن ، وتلك هي حكمة

١- سورة مريم : الآيات ٢٩ : ٣١.

الله وقدرته ؛ لأن في ذلك خيرًا ، فقد كان بعد ذلك على خزائن مصر ، وقد مكن الله له في الأرض ، وتزوج بعد ذلك زوجة العزيز بعد أن مات عنها زوجها ، وقد رد الله إليها شبابها ، ومن الأطفال الذين تكلموا في المهد: الطفل الرضيع ابن صاحب جريح الذي اتهم فيه افتراء السيدة البغية ، وكان أبوه راعى الغنم وهو المعروف (بابن يونس) ولكن الله جعل لهذا العابد الزاهد "جريج" كرامةً من كرامات الأنبياء الزاهدين العابدين ، وقد نجاه الله من هذا الافتراء ببره لأمه وتضرعه إلى الله في الرخاء قبل الشدة ، وبفضل صلاة النوافل .

كما تكلمنا عن الطفل الرضيع الذي تكلم في حجر أمه ، وهو يرضع من ثديها ، وكانت تتمنى أن يكون مثل الشاب الجبار الذي مر بها ، وتظهر عليه الهيبة والوقار لكنه في حقيقة الأمر من الظالمين الجبارين ، والسيدة التي اتهمت ظلمًا وكانت تعذب ظلمًا وكفاها قولها (حسبي الله ونعم الوكيل) ، وتكلمنا عن ابن ماشطة بنت فرعون التي أعدت لها النار وألقيت فيها وأولادها واحدًا بعد الآخر. فقال لها ابنها الرضيع : قعي يا أمي ولا تقاعسي إنك على الحق ، وكذلك ابن امرأة أصحاب الأخدود الذي تكلم على الحق.

وكذلك ابن صاحب اليمامة الذي شهد لرسول الله ﷺ (بأنه رسول الله ﷺ) وهو طفل رضيع،وتكلمنا عن العبر والعظات التي يجب أن نتعلمها من هذه المواقف .

ونسأل الله ﷻ أن يجعل في هذا الكتاب النفع والإفادة ، وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم ، والصلاة والسلام على النبي الكريم .

جهاد محمد حجاج

عيسى عليه السلام

سيدنا عيسى عليه السلام هو واحد من الذين تكلموا في المهد ولا جدال في هذا الأمر؛ لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد تكلما عن ذلك ، وذلك لقول الله تعالى:

﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ .... ﴾[1].

ولقول الله تعالى :

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى[3]، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له "جريج" كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال : أأجيبها أم أصلي ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى

١- سورة آل عمران : من الآية ٤٦.
٢- سورة مريم : الآيات ٢٧ : ٣٣ .
٣- فتح الباري ص ٥٧٣ م٦ ورواه البخاري ٣٤٣٦ .

تريـه [1] وجـوه المومسات ، وذكر راوي الحديث الثالث أنـه الـصبي الرضيع ، وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقد اختلف العلماء في العمر الذي تكلم سيدنا عيسى عليه السلام فيه إلا أنه الأرجح أن يكون هذا الكلام في المهد عقب أيام قليلة من ميلاده ، وذلك لما قاله أهل هذا الزمان من بنى إسرائيل الذي ولد فيه سيدنا عيسى عليه السلام ، وقالوا إن السيدة مريم العذراء البتول الطاهرة أنها قد فعلت الفاحشة وحاشا لله أن تكون كذلك .

ومن الثابت أن الله خلق الخلق على أربع أحوال :

الأول : هو خلق آدم عليه السلام دون أب ولا أم وخلقه بيده ولقوله :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً .... ﴾ [2].

الثاني : هو حواء من ضلع آدم الأيسر ، وهى تعد من رجل دون أنثى لقوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا .... ﴾ [3].

والثالث : هو خلق سيدنا عيسى عليه السلام من أنثى دون رجل وهو الفعال لما يريد ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

١- رواه أحمد ٣٩٥م٢ .
٢- سورة البقــــرة : من الآية ٣٠.
٣- سورة الأعراف : من الآية ١٨٩.

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[1].

والرابع : هو خلق الناس كافة من أب وأم ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ .... ﴾[2].

وكلام سيدنا عيسى عليه السلام ، وأمه السيدة مريم بنت عمران الذي قدر الله لها أن يكون لها ولد دون أن يمسها رجل كعادة الناس في عصرها ، مما هو غير معهود وغير معروف ، مما جعل هؤلاء الجهلاء من المنكرين لهذه المعجزة وغفلة هؤلاء أن يقولوا الله خلق كل شيء من عدم من قبل مثل آدم .

وقد عاب أهل زمان السيدة مريم عليها هذا الأمر وقال لها بعضهم :

يا مريم هل تنبت الأرض بغير بذرة.

فأجابت عليهم بلسان الصدق والإيمان: ومن الذي أوجد البذرة الأولى في هذا الكون؟ .

كما أن الله قدر لها أن يكون سيدنا عيسى عليه السلام دون رجل ، وذلك لقول الله تعالى :﴿ ... وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ .... ﴾[3].

وقد خلق الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام من ذرية طاهرة فقد وهبت جدته لأمة عندما كانت حاملا في أمه السيدة مريم أنها قد وهبت ما في

١- سورة مريم : الأيات ١٦ : ١٨ .
٢- سورة الحجرات : من الآية ١٣.
٣- سورة مريم : من الآية ٢١.

بطنها ليكون في خدمة المعبد دون أن تعرف أهو ذكر أو أنثى ؟ ولما وضعت السيدة مريم وضعت عند المعبد كما نذرت ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [١].

نسب السيدة مريم [٢] :

أبو السيدة مريم هو { عمران بن باشم بن أمون بن ميشا بن خرقيا بن أحريق بن موتم بن عزازيا بن أمصيا بن يا وش بن أحريهو بن يا زم بن بهفا شاط ابن أيشا بن آيات بن رحبعام بن نبي الله سليمان بن نبي الله داود عليهم السلام أجمعين } [٣].

أما أم السيدة مريم أم سيدنا عيسى عليهم السلام فهي { حمنة بنت فاقود بن قبيل } وهي من العابدات ، وكان سيدنا زكريا عليه السلام زوج أخت

١- سورة آل عمران : الآيات ٣٥ : ٣٧.
٢- البادية والنهاية ٤٣١م٢.
٣- البداية والنهاية ص ٤٣١م٢.

السيدة مريم وكانت تسمى { أشياع } من خدام معبد بنى إسرائيل ، ومعنى هذا أن سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا يحي عليه السلام أولاد خالة .

وكانت أم السيدة مريم { حمنة بنت فاقود }[1] لم تكن تحمل ، وقد تقدم بها العمر، وقد رأت ذات يومٍ أن طائرًا يزق فرخًا له فاشتهت الولد، فدعت الله أن يرزقها الولد ، وأنها سوف تهبه إلى معبد { بيت المقدس }، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ .... ﴾[2].

وقد دعت أم السيدة مريم عند ميلاد السيدة مريم أن يحفظها الله هي وذريتها من الشيطان اللعين :

﴿ .... وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

وتقبل الله دعائها وحفظها هي وابنها من الشيطان الرجيم، وذلك لقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها " .

ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالعقيقة، وذلك لقول أنس .. قال : قال رسول الله ﷺ " كل غلام رهين بعقيقة تذبح عند سابعه ويسمى ويحلق رأسه "[4].

١- البداية والنهاية ص ٤٣١م٢.
٢- سورة آل عمران : من الآية ٣٦.
٣- سورة آل عمران : من الآية ٣٦.
٤- رواه أحمد ٧ ، ٨ ، ١٢ م٥ .

وقد حفظ الله سيدنا عيسى وأمه لقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ "ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى بن مريم و مريم " .

ولقوله ﷺ : كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى بن مريم.. ذهب يطعن طعن الحجاب " (١).

ولقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في جنبيه إلا ما كان من مريم وابنها ألم تر الصبي حين يسقط ؟ كيف يصرخ؟ .

ولما ولدت السيدة حمنة ابنتها (مريم) دفعت بها إلى المعبد إذ كانت مريم بنتًا أمام كبير خدام المعبد (عمران) فأراد كل من هو في المعبد أن يتكفل بها ، ولكن الله كفل بها سيدنا زكريا عليه السلام زوج أختها، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا .... ﴾ (٢) .

وقد خص الله ﷻ سيدنا زكريا برعايتها؛ لقول الله تعالى :

﴿ ...وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣).

١- البداية والنهاية ٢٣٤م٢.
٢- سورة آل عمران : من الآية ٣٧ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ٤٤ .

لأن كل رجال المعبد كانوا يتنافسون في رعايتها وخص الله بهذا الأمر سيدنا زكريا نبي الله ﷺ ، وعاشت مريم طفولتها وشبابها مع زكريا في بيت المقدس عند الجانب الشرقي منه، وقد وجد سيدنا زكريا ﷺ لها العديد من المعجزات والكرامات التي لم تكد تكون إلا لنبي وذلك لأن الله ﷻ كان قد اختارها لتكون أمًّا لنبي الله سيدنا عيسى صاحب هذه المعجزات العديدة ومنها: الكلام في المهد [1].

وإذ كان سيدنا زكريا ﷺ كلما دخل عليها المحراب وجد عندها من رزق الله من الفاكهة ما لم يكن موجودًا في هذا الوقت من فاكهة الشتاء التي كان ينزلها الله عليها في الصيف والعكس ، مما جعل سيدنا زكريا ﷺ يفكر في هذا الأمر حتى وصل الأمر إلى أن سألها : من أين لك هذا يا مريم؟ ولم يكن موجودًا ببلاد بيت المقدس هذه الأنواع من الطعام والفاكهة ، فكانت ترد عليه بقول الله تعالى :

﴿ ...هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ .... ﴾ [2].

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [3].

١- تفسير الرازى ٣٤٥م١٠ .
٢- سورة آل عمران : من الآية ٣٧ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ٣٧ .

وكان يتعجب سيدنا زكريا من هذا الأمر؛ لأنه لم يكن أحد يدخل عليها هذا المحراب إلا هو، فحق له أن يسأل هذا السؤال .

بشرى الملائكة لمريم بحملها [1] :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2].

وفى هذه البشرى أن الله ﷻ قد اصطفى السيدة [3] العذراء مريم بنت عمران وجعلها من صفوة نساء العالمين ، وذلك لقول ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ "أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، و مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون " [4].

١- البداية والنهاية ٤٣١م٢.
٢- سورة آل عمران : من الآية ٤٢ : ٤٦ .
٣- تفسير القرطبى ٩٣م١١ .
٤- رواه أحمد ٣١٦م١ .

ولقول جابر بن عبد الله قال : قال رسول ﷺ " حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين : فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران "[1].

كما أن الله ﷻ قد أمرها بالقنوت وكثرة السجود ، وهذا أمر من الله لها أن تتعلق بالعبادة أكثر وأكثر ، ولا تشغل نفسها بالدنيا وأهلها ، وهذا إعداد من الله لما سيكون فيما بعد أن يقدر لها الحمل دون أن يمسها رجل خصوصًا ، أن هذا الاصطفاء سوف ينظر أهل الدنيا إليه على أنه من الفواحش والرذائل، وهذا وحي من الله لها، كما أوحى الله من قبل إلى أم سيدنا موسى ﷺ بأن ترضعه وتلقى به في اليم ، وهذا خير وحفظ له من عدوه وعدو الله فرعون ، ولإيمانها بالله استجابت وفعلت هذا الأمر فنجاه الله ورده إليها وجعله الله من المرسلين، كما وعدها الله ﷻ.

وقد ذكر العلماء أن الله ﷻ أوحى إلى ثلاثٍ من النساء ، وأنهن قد نزلت عليهن النبوة وهن { سارة و أم موسى و مريم بنت عمران عليهن السلام} وقيل إنهن صديقات والسيدة مريم من النساء اللاتي أكمل الله لهن عقلهن [2] ، وذلك لقول معاوية قال : قال رسول ﷺ " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" .

١- تفسير بن كثير ١١٧م٣ .
٢- البادية والنهاية ١٧٦م١.

وقد خدمت هؤلاء النساء أنبياء قبل أن يوحى الله إليهم، فقد خدمت مريم في المعبد وابنها عيسى قبل أن يوحى إليه وقد خدمت السيدة خديجة رسول الله ﷺ قبل البعثة خمسة عشر عامًا [1].

وأما فاطمة فهي التي عاشت من بين بنات رسول الله وشهدت وفاته فصبرت وكان صبرها عبادة، وأما عائشة فقد كانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، وأنه لم يتزوج بكرًا إلا هي، وكانت أفقه نساء رسول الله ﷺ، ونساء الأرض جميعًا وعاشت بعد رسول الله ﷺ أكثر من خمسين عاما تبلغ عن رسول الله ﷺ ومن فضائل السيدة مريم: أنها من نساء رسول الله ﷺ في الجنة، وذلك لقول رسول الله ﷺ " إن الله زوجه في الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون وأخت موسى ".

ميلاد سيدنا عيسى :

لما قدر الله ﷻ على السيدة مريم هذا الأمر اعتزلت عن الناس في الجانب الشرقي من المعبد إلى أن أتم الله عليها حملها وأمرها الله بأن تهز جذع النخلة لتسقط عليها من رزق الله، ولا عجب فقد كان الله يرزقها من غير أن تفعل ذلك من قبل وقد كان هذا الحمل أمرًا قد رفضه أهل زمانها وعابوا عليها هذا الأمر واتهموها[2] بالزنا والفاحشة ؛ ولكن الله أمرها ألا ترد عليهم وأن تصوم عن الكلام وأنه هو الذي سيدافع عنها، وذلك بأن جعل لهذا

١- تفسير الرازى ٤٣٥م١.
٢- تفسير في ظلال القرآن ٢٣٠٤م٤ .

الحمل وهذا الميلاد ولها ولابنها الوليد الرضيع معجزة كبرى لم تكن معروفة من قبل، وهو أن يرد هذا الطفل الرضيع عليهم بنفسه، رغم أن عمره عدة أيام وهو ما عرف بكلام سيدنا عيسى عليه السلام في المهد، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

١- سورة مريم : الآية ١٦ : ٣٢ .

وقد بعث الله سيدنا جبريل الروح الأمين في صورة رجل من أهلها، كان يسمى تقي ، فاستعاذت بالله منه وحسبته هذا الشقي من قولها الذي كان يسمى تقيًّا [1]، إلا أن العلماء استبعدوا ذلك وهذا على سبيل أن هذا الحمل يكون بغير رجل فتكون من أهل الفواحش؛ ولكنه أمر الله الذي أسلمت له فنفخ جبريل فيها الروح، فحملت وكان حمل مريم في نفس الوقت الذي حملت فيه أختها (أشياع) زوجة نبي الله زكريا . وهذا حمل سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام ، وقيل إن أشياع كانت تقول لمريم : إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك وهذا من باب التحية في هذا العصر وهذا دليل آخر على فضل ومكانة سيدنا عيسى وأمه عند الله ﷻ وقال بعض العلماء: إن هذا الحمل كان تسعة أشهر كما تحمل باقي النساء [2].

ولما وضعت عاب عليها أهل زمانها، ولما بلغ هذا الأمر أحد ملوك الروم (هيرودس) توعدها بالعذاب لما بلغه عنها ؛ ولكن الله أنطق سيدنا عيسى وهو طفل رضيع وامتنعت هي عن الكلام، كما أمرها الله ﷻ ، فنطق سيدنا عيسى وهو طفل رضيع وقال ﴿ ... إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ ﴾ [3] وهذا اعتراف من سيدنا عيسى أنه ليس ابن الله ﷻ وحاشا لله أن يكون له ولد أو أن تكون له زوجة، ولما وضعت السيدة مريم هذا الطفل الرضيع وعاب عليها أهل زمانها واتهموها بالزنا مع ابن عمٍ لها يقال له (يوسف النجار) ، فما كان إلا أن حملها يوسف النجار وهاجر بها هي

١- تفسير الرازي ٤٣٥م١ .
٢- تفسير الرازي ٤٣٤م١٠، القرطبي ٩٤م١١ .
٣- سورة مريم : من الآية ٣٠ .

وابنها الرضيع عيسى لأنه علم أن قومها من بنى إسرائيل سوف يتوعدونها بالعذاب ، وكذلك هذا الملك الظالم ، فهاجر بها إلى مصر، وقيل إن السيدة مريم ظلت بمصر إلى أن بلغ ابنها نبي الله عيسى ﷺ ثلاث عشرة سنة، وقد أرسلت به إلى المعلم ليعلمه عندما بلغ سبع سنوات فقال له المعلم قل (أبجد) .

قال عيسى: (وما أبجد) ؟

قال المعلم: لا أدري .

فقال عيسى: وكيف تعلمني ما لا تدرى ؟

فقام وأجلس عيسى مكانه وقال **عيسى:** (أبجد) معناها :

(أ) آلاء الله .

(ب) بهاء الله .

(ج) جلال الله .

وعجب المعلم من ذلك وكان سيدنا عيسى أول من فسر كلمه(أبجد)[1]

وظل سيدنا عيسى بمصر هو وأمه إلى أن بلغهم خبر وفاة هذا الملك ، وعادوا إلى بيت المقدس، وكان عمر سيدنا عيسى وقتئذ ثلاث عشرة سنة ومن معجزات سيدنا عيسى ﷺ ، وهو طفل رضيع :أنه كان وهو يلعب مع رفقائه من الأطفال يقول لزملائه من الصبيان: ألا أخبرك بما خبأت لك أمك بالدار، وكان يخبر زملاءه بذلك، فكانوا يتعجبون من ذلك الأمر[2] .

١- البداية والنهاية ص ٣٥٤م٢ .

٢- تفسير في ظلال القرآن ٢٣٠٨م٤ .

وقد أخبر القرآن الكريم أن سيدنا عيسى يخبرهم بما يدخرون في بيوتهم وأن الله أعطاه معجزة الشفاء وإحياء الموتى وكانوا يصنعون بعض الأشكال واللعب للأطفال على هيئة طيور وحيوانات وغيرها، فكان ينفخ فيها الروح بإذن الله فتكون طيرًا بإذن الله وفضله ، كما أن الله أنزل عليه المائدة من السماء وكانت لهم عيدًا وكانت تكفيهم جميعًا، وقد ذكر الله ﷻ خبر هذه المائدة .

قال الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1].

وذكر ابن عباس أن سيدنا عيسى عليه السلام أمر تلاميذه وهم الحواريون بصيام ثلاثين يومًا ، وبعد هذا الصيام طلبوا منه أن يطلب من ربه أن ينزل عليهم مائدةً من السماء تكون لهم جميعًا عيدًا، فدعا سيدنا عيسى ربه أن

١- سورة المائدة : من الآية ١١٢ : ١١٥ .

ينـزل علـيهم هـذه المائـدة بـين غمـامتين، وهـى مغطـاة بمنـديل وعليهـا سـبعة حيتـان وسبعة أرغفة ورمان وبعض الفاكهة الأخرى [1].

وأكل من هذه المائدة ألف وثلاثمائـة نفس منهم الفقراء أولاً، والمحـاويج والمرضى ، وهؤلاء الحواريون قيل: كان عددهم سبعة آلاف وقيل: إنهـا كانـت تنزل عليهم كل يوم مرة .

ثـم أمـر الله ﷻ أن يجعـل هـذه المائـدة للفقـراء والمحـاويج والمرضى دون الأغنيـاء ، فعـابوا عليـه ذلـك فـرفعهـا ولم تعـد تنـزل بعـد وقيـل لأنهـم كـانوا يخونون ويدخرون ، وقد نهاهم سيدنا عيسى عن ذلك، فلم ينتهوا .

ومـن معجـزات سـيدنا عيـسى ﷺ أن الحـواريين خرجـوا ذات يـوم يتتبعونـه فوجدوه يمشى على مـوج، وكـان سـيدنا عيسى زاهـدًا في الـدنيا ومـا فيهـا؛ لأنـه علـم أن كـل مـا فيهـا يفنـى ويـزول؛ ولـذلك قيـل: إنـه يبعـث يـوم القيامة على رأس الزاهدين .

وكـان صابرًا على إيـذاء قومـه لـه؛ لأنـه مـا بعـث الله مـن نـبي إلا كذبـه قومه وعذبوه، ومن دعاء سيدنا عيسى ﷺ قوله :

" اللهم إني أصـبحت لا أسـتطيع رفـع مـا أكـره ، ولا أملـك نفـع مـا أرجـو مـن الأمـر، وأصبح الأمـر بيـد غيري وأصبحت مرتـضًيا بعملي فـلا فقـير أفقـر

١ـ تفسير القرطبى ١٠٥م١١ .

منى ، اللهم لا تشمت بي عدوى ، ولا تسئني في صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني ، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني "[1].

وقد أنزل الله الإنجيل على سيدنا عيسى في الثامن عشر من رمضان، وكان ذلك بعد نزول الزبور بـ (١٠٥٠) عامًا ، وكان نزول الإنجيل على سيدنا عيسى وعمره ثلاثون عامًا وظل في الأرض إلى أن رفع إلى السماء وعمره ثلاثة وثلاثون عامًا قال تعالى :

﴿ .... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[2].

ولما أراد أعداؤه قتله أوقع الله شبهه على أحد تلاميذه وهم الحواريون، وكانوا سبعة عشر رجلاً، ووعد الله الذي يشبهه به بالجنة ، وكان عنده وقتئذ اثنا عشر رجلاً من الحواريين وهم :

(بطرس – يعقوب بن زيدا – وأخو يعقوب عيسى – واندراوس – فليبس – برانما – متى – توماس – يعقوب بن حلقبا – تضرس- فتاتيا – يورس سرجيس) وقيل: إن سرجيس هو الذي قتل بدل سيدنا عيسى عليه السلام ، وقد وعده الله ﷻ الجنة وما زال سيدنا عيسى عليه السلام حيًّا في السماء ينزل في آخر الزمان، ويصلى خلف المسلمين، وليدافع مع أمة سيدنا محمد ﷺ ويكسر

١- تفسير بن كثير ١٢٠م٣ .

٢- سورة النساء : من الآية ١٥٨ .

الصليب ويذبح الخنزير، وهذا من العلامات الكبرى ليوم القيامة، ثم يموت ويدفن كباقي الأنبياء عليهم السلام أجمعين- .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مر عيسى عليه السلام على مدينة خربه فأعجبه البنيان فقال : أعازب مر هذه المدينة أن تجيبني ، فأوحى الله عز وجل إلى المدينة ، أيتها المدينة عيسى حبيبي وما تريد منى ؟

قال : ما فعل أشجارك ؟ وما فعل أنهارك ؟

وما فعل قصورك ؟ وأين سكانك ؟

قال : حبيب جاء وعد ربك الحق ، فيبست أشجاري وجفت أنهاري ، وخربت قصوري ، ومات سكاني قال : فأين أموالهم ؟ [1].

فقالت : جموعها من الحلال والحرام موضوعة في بطني، لله ميراث السموات والأرض .

قال : فنادى عيسى عليه السلام فعجبت من ثلاثة أناس طالب الدنيا والموت يطلبه.

وباني القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه .

يا بن آدم ، لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع لمن لا يحمدك ، وتقدم على ربٍ لا يعذرك إنما أنت عبد بطنك وشهوتك ، وإنما تملك بطنك إذا دخلت قبرك .

وأنت يا بن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك .

١- تفسير الرازى ٤٥١م١٠ .

وقد رفع سيدنا عيسى عليه السلام في حياة أمه السيدة مريم العذراء البتول الطاهرة.

وكلام سيدنا عيسى عليه السلام لا جدال فيه ؛ لذكر القرآن ذلك كما ذكرنا ؛ ولقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى وكان في بنى إسرائيل رجلٌ يقال له جريج يصلى إذ جاءته أُمه فدعته،**فقال** : أجيبها أو أصلى **فقالــت** : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فعرضت له امرأةٌ وكلمته فأبى، فأتت راعيًا ، فأمكنته من نفسها فولدت غلامًا فقيل لها: ممن؟

قالت: من جريج ، فأتوه وكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام ، **فقال** : من أبوك يا غلام ؟

قال الغلام : فلان راعي الغنم .

قالوا : أبنى لك صومعتك من الراهب ؟

قال : لا إلا من طين ، وكانت امرأة ترضع ابنا لها في بنى إسرائيل ، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك الطفل ثديها وأقبل على الراكب، **فقال** : " اللهم لا تجعلني مثله" ، ثم أقبل على الثدي يمصه ، ثم مر بأمه رجل **فقالــت** : اللهم لا تجعل ابني مثل هذا ، فترك ثديها **فقال** : " اللهم اجعلني مثله" ، **فقالــت** : لم ذلك ؟ **فقـــال**: الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة **يقولون** : سرقت وزنت ولم تفعل " [1] .

١- رواه البخارى ٣٤٣٦ .

وعن وصف سيدنا عيسى ﷺ يقـــول رســـول الله ﷺ "رأيت عيسى وموسى وإبراهيم ، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزلط "[1].

وعن فضل نبي الله سيدنا عيسى ﷺ قال الصحابي الجليل أبو هريرة : قال رسول ﷺ ." أنا أولى الناس با بن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي ".

وعن نزول سيدنا عيسى من السماء إلى الأرض قـــال رســـول الله ﷺ : " إنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق ويظل في الأرض أربعين سنة من هذا النزول ثم يموت وذلك لقول أبي هريرة قال : قال رســـول الله ﷺ " فيمكث في الأرض أربعين سنة " ولقوله " وإنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق . وقد أقيمت الصلاة للصبح فيقول . له إمام المسلمين تقدم يا روح الله فصَلِّ فيقول لا بعضكم على بعض أمراء يكرمه الله هذه الأمة " فيقول " عيسى . إنما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلفه . ثم يركب معه المسلمون في طلب المسيخ الدجال ، فيلحقه عند باب [اللد] ، فيقتله بيده الكريمة"[2].

ويدخل سيدنا عيسى ﷺ دين الإسلام ، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول ﷺ ، وقيل : إنه بعد موته في الأرض يدفن في الحجرة النبوية[3].

١- رواه البخارى ٣٤٣٨ .
٢- رواه مسلم ٣٨٨ .
٣- البداية والنهاية ص ٤٧٨م٢ .

فضل الله على سيدنا عيسى :

١. أن الله نفخ فيه فحملته أمه بدون أن يقربها رجل وجعله معجزة ، وقد جعله الله آية للناس .

٢. أن الله جعله عبدًا طائعًا لله لقوله :

﴿ ... إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ .... ﴾[١].

٣. أن الله أنطقه في المهد .

٤. أن الله أعطاه الكتاب والحكمة والنبوة لقوله تعالى :

﴿ ... إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾[٢].

٥. أن الله جعله مباركًا أينما كان .

٦. أن الله أوصاه بالصلاة والزكاة .

٧. أن الله لم يجعله جبارًا شقيًّا ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[٣].

٨. أن الله جعله من أهل البر والإحسان إلى أمه ؛ وذلك لقول تعالى :

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي ... ﴾[٤].

٩. أن الله أنزل عليه الأمن والسلام يوم ميلاده، وفى حياته ، ويوم يموت ، ويوم يبعث [٥].

١- سورة مريم : من الآية ٣٠ .
٢- سورة مريم : من الآية ٣٠ .
٣- سورة مريم : من الآية ٣٢ .
٤- سورة مريم : من الآية ٣٢ .
٥- تفسير الرازي ٤٥٣م١٠ ، ابن كثير ١٢٠م٣ .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] .

١٠. أن الله جعله يسير فوق الماء .

١١. أن الله أنزل عليه المائدة .

١٢. أنه يداوى المرضى من الجرب والبرص .

١٣. أنه يحي الموتى بإذن الله .

١٤. أنه يخبرهم بما يدخرون في بيوتهم .

١٥. أنه ينفخ في الطير الذي صنع من الطين فيكون طيرًا حيًّا بإذن الله .

١٦. أن الله رفعه إليه حيًّا .

١٧. أنه سينزل في آخر الزمان ويدخل دين الإسلام .... إلخ .

١- سورة مريم : الآيـــة ٣٣ .

شاهد يوسف

الله ﷻ يؤيد الأنبياء بالمعجزات، والصالحين بالكرامات، فقد لقي الأنبياء الكثير من العذاب والإيذاء والتكذيب ؛ ولكن الله أيدهم بالعديد من المعجزات، فمن الذين تكلموا في المهد: شاهد نبي الله يوسف ، عندما أُتهم سيدنا يوسف عليه السلام ، وقيل: إن شاهد نبي الله يوسف من الأربعة الذين تكلموا في المهد وهم :

١. شاهد يوسف .
٢. صاحب جريج .
٣. سيدنا عيسى بن مريم .
٤. ابن ماشطة فرعون .

وقد ورد ذكر شاهد يوسف في القرآن ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

ولقد لقى سيدنا يوسف عليه السلام العديد من المحن منها :

١. وفاة أمه وهو صغير.
٢. كيد إخوته له وحقدهم عليه .

١- سورة يوسف : من الآيات ٢٦ : ٢٧ .

٣. محاولة إخوته التخلص منه، ومحاولة قتله ووضعه في قاع البئر.

٤. أنه بيع مثل السلع، وهو نبي من نسل الأنبياء .

٥. محاولة زوجة عزيز مصر أن يفعل الفاحشة معها .

٦. دخوله السجن حتى كاد أن ينسى في السجن .

٧. بعده عن أبيه وإخوته، وأهله .

٨. محاولة العزيز أن يستخلصة لنفسه .

٩. جلوسه على خزائن الأرض [1].

وقد منحه الله العديد من الفضائل منها :

١. أن الله جعله من نسل الأنبياء .

٢. أن الله أعطاه العلم لقوله :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾ [2].

٣. أن الله أعطاه علم تأويل الأحلام .

٤. أن الله أسجد له الشمس والقمر ،وباقي الكواكب في الرؤية المنامية .

٥. أن الله حفظه في السجن .

٦. أن الله أجلسه على العرش جلوس الملوك وذلك بطاعته وإخلاصه لله، وبره لوالديه .

١- تفسير ابن كثير ١٥م٣ .
٢- سورة يوسف : من الآية ٢٢ .

٧. أن الله حفظه من الزنا والفواحش .

٨. أن الله عصمه من فعل؛ الفواحش وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ ... ﴾[1].

٩. أن الله جعله من المخلصين؛ وذلك لقوله تعالى :

﴿ ... إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

١٠. أن الله أظهر الحق وجعل زوجة العزيز تعترف ببراءته، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

نسب سيدنا يوسف :

هو نبي الله يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن بنى الله وخليله سيدنا إبراهيم عليه السلام وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم " .

وقد ولد نبي الله يوسف عليه السلام بأرض بيت المقدس حيث يعيش أبوه وإخوته ، وكان عدد إخوته أحد عشر ولدًا ، وبنتا تسمى (دينا) وقد توفيت أمه (راحيل) وهو طفل صغير، وقد وجد أبوه يعقوب على وجهه الصلاح

١- سورة يوسف : من الآية ٢٤ .
٢- سورة يوسف : من الآية ٢٤ .
٣- سورة يوسف : من الآية ٥١ .

والفلاح ، وبعض علامات النبوة، وقد رأى يوسف عليه السلام رؤيا وهو صبى، أن الشمس والقمر والكواكب الأحد عشر قد سجدوا له، فنصحه أبوه ألا يقص هذه الرؤيا على إخوته ، فيزداد حقدهم عليه؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وقيل إن الأحد عشر كوكب التي رآها يوسف ساجدة له وهو صبى هي (جريان - الطارق - الديال - ذو الكتفان - قابس - وثاب - عمودان - الفيلق - المصبح - الضروح - ذو الفرع - الضياء - النور) .

ولما وجد يعقوب عليه السلام أبيه عليه هذه العلامات أزداد حبه له وقربه إليه مما زاد حقد إخوته[2] عليه أكثر وأكثر، حتى إن أولاد يعقوب قالوا : عن حب يعقوب لأخيهم :﴿ ... إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾[3].

وفكر بعضهم في قتله والتخلص منه ، وفكر البعض في إبعاده عن أبيه .

١- سورة يوسف : الآيـــات ٤ : ٦ .
٢- تفسير القرطبى ١٧١م٩ .
٣- سورة يوسف : من الآية ٨ .

إلى أن انتهى الأمر بهم أن فكروا في إبعاده عن أبيهم ، فتحايلوا على أبيهم ، وقالوا : " يا أبانا إنا ذاهبون إلى الصيد وأرسل يوسف معنا يلعب ويفرح ، ويكون لنا عند متاعنا " .

وأحسَّ منهم يعقوب الغدر؛ ولكنه نبي عليه أن يحسن الظن، وأخذ إخوة يوسف يوسف ، معهم في هذه الرحلة ثم خلعوا عنه ثيابه ووضعوه في قاع إحدى الآبار بالصحراء ، وذبحوا شاةً وعادوا متأخرين من النهار وقت العشاء ، وقد لطخوا قميص يوسف بهذا الدم ، وعادوا إلى أبيهم عشاءً يبكون وقالوا : " يا أبانا ، إنا ذهبنا للصيد ، وتركنا يوسف عند متاعنا ، ولما عدنا وجدنا الذئب قد أكل يوسف، وهذا الدم على القميص" ولم يجد أبوه به خرق فعرف أن هذا من فعل أولاده ، وليس من فعل الذئب ، فصبر وأسلم أمره كله لله ، وقال :

﴿ ... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [1].

وحفظ الله ﷻ سيدنا يوسف ﵇ في البئر ، فأرسل إليه سيدنا جبريل ﵇ ليطعمه ويسقيه في البئر ، كما كان يطعم جده إبراهيم من قبل ، وهو في النار ، حتى قال سيدنا إبراهيم ﵇ :" أن أجمل أيام حياته هي التي عاشها في النار" [2].

وقد دعا سيدنا يوسف ربه وهو في البئر أن يفرج الله عنه ما هو فيه من الغم والكرب والحزن .

١- سورة يوسف : من الآية ١٨ .
٢- البداية والنهاية ٢٢٨م١

فأرسل له الله أحد رجال القافلة الذي ذهب إلى البئر ليملأ دلوه بالماء ، فوجد هذا الطفل الصغير في هذا البئر، فأخرجه وذهب به إلى رئيس القافلة وباعه بقليل من الدراهم ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ... ﴾[1].

وقال ابن عباس: إن رجال القافلة باعوه بعشرين درهمًا و وزعوها بينهم، ثم باعوه إلى عزيز مصر، وقيل وزيره وهو (أطفير بن روحيب) وكان ملك مصر وقتها هو (الريان بن الوليد) أحد رجال العماليق، وكانت زوجة العزيز هي (رعيل بنت رعابيل) وقيل: زليخا، ولذلك قيل: إن أفرس الناس ثلاثة . عزيز مصر حين قال لامرأته: أكرمي مثواه ، والمرأة التي قالت لأبيها شعيب :

﴿ ... يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۝ ﴾[2].

والثالث: أبو بكر الصديق عندما استخلف سيدنا عمر بن الخطاب على المسلمين من بعده[3].

وقيل: إن عزيز مصر قد اشتراه بوزنه مسكًا مرة ، وبوزنه حريرًا مرة ، ووزنه ذهبًا مرة ، ووزنه وَرِقًا مرة ، وكان الورق من نفائس هذا العصر.

١- سورة يوسف : من الآية ٢٠ .
٢- سورة القصص : من الآية ٢٦ .
٣- البداية والنهاية ٢٢٨م١ .

ودخل يوسف قصر الملك وعاش فيه ، ولما رأته زوجة العزيز أعجبت به لأن سيدنا يوسف قد أعطى شطر الحسن حتى قيل: إنه كان مبرقعًا .

وغلقت هذه المرأة الأبواب وأرادت أن تراوده؛ ليقع معها في الفحشاء ويزنى بها ؛ ولكن الله قد عصم الأنبياء من الخطايا و الرذائل .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

كلام شاهد يوسف في المهد[2] :

بعد أن دعت زوجة العزيز يوسف ؛ ليفعل معها الفاحشة وامتنع ، امتلأ قلبها بالغيظ ، كيف يتمنع عنها وهى زوجة العزيز ذات الحسن والجمال والشرف ؟ فما كان منها إلا أنها صرخت تدعى أنها تستنجد برجال القصر، وهى تبكي[3] من يوسف الذي تدعى أنه حاول الاعتداء عليها، وأنه يريد تدنيس شرف العزيز عزيز مصر فقالت لزوجها :

﴿ ... قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ

١- سورة يوسف : الآيات ٢٣ : ٢٤ .
٢- البداية والنهاية ص ٢٢٩ م١ .
٣- المصدر السابق .

مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[١].

وهذا الشاهد ، شاهد سيدنا يوسف ﷺ هو من السبعة الذين تكلموا في المهد، وقيل : إنه كان طفلاً صغيرًا رضيعًا .

إلا أن سيدنا يوسف لم يستجب لها، وقال قول الله تعالى :

﴿ .... مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ .... ﴾[٢].

وبعد أن شهد هذا الشاهد ، ووجد أن قميص يوسف [٣] قد قطع من الدبر، وهذا دليل على براءةِ يوسف ، إلا أنه وضعه في السجن حتى يبطل ما صدر بين الناس من الكلمات عن زوجة العزيز، والسبب الثاني أن الله قدر عليه هذه الحكمة وأنه في هذا السجن خير له البقاء به ، ودخل يوسف السجن وظل فيه سبع سنوات، وقد عابت نساء المدينة على زوجة العزيز ما كانت تريد أن تفعله من الفاحشة مع هذا الصبي يوسف ، مما جعل زوجة العزيز تكيد لهن وأجلستهن على باب القصر وأعطت كل واحدة منهن سكينًا ، وطلبت من رجال القصر أن يخرجوا بيوسف على هؤلاء النسوة ، ولما خرج عليهن كادت عقولهن أن تذهل من حسن وجمال يوسف ﷺ ،

١- سورة يوسف : من الآيات ٢٥ : ٢٨ .
٢- سورة يوسف : من الآيـة ٢٣ .
٣- تفسير ابن كثير ٤٧٥م٢ .

وقطعن أيديهن بسكين سهوًا من انشغالهن بجمال يوسف ،فقالت لهن زوجة العزيز: هذا الذي كنتن تلمنني فيه ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ... ﴾[1].

وبعد هذا ظل يوسف في السجن ، وكان معه خباز الملك وساقيه ، وكان كل منهما يرى بعض الرؤى في المنام ، وكان يوسف قد أعطاه الله علمًا كثيرًا فكان يعبر لهم هذه الأحلام ، وحدث أن أخرج أحد الرجال الذين كانوا معه في السجن وكان من رجال قصر الملك ، وحدث ذات يوم أن رأى الملك رؤيا أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات مهازيل ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات وجافه، وكان الملك في حاجة إلى من يفسر ويعبر له هذه الرؤى ، فلما بلغ أحد رجال القصر ذلك تذكر يوسف الذي كان معه في السجن ، فدل الملك على يوسف، وقد كاد يوسف أن ينسى في السجن لولا هذه الرؤيا .

١- سورة يوسف : من الآيات ٣١ : ٣٣ .

ثم أمر ملك مصر بإخراج يوسف من السجن وقص هذا الملك على يوسف رؤياه .

ففسرها له يوسف بأن السبع بقرات المهازيل [1] والسبع سنبلات اليابسات هن سِنُون جدب، وإن السبع التي بعدها هي سبع سنين خير ورخاء ، ودل يوسف العزيز أن يأخذوا من السنين الخير إلى السنين العجاف ، بأن يتركوا الحب في السنابل لأعوام الجدب ، وهنا عَلم نبي الله يوسف طريقة تخزين الغلال ، فكانت سبع السنين الخير هي الأولى ، وسبع السّنين الفقر هي التي بعدها .

وهنا علم العزيز قدر نبي الله يوسف وقربه منه حتى إنه جعله على خزائن الأرض ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ .... ﴾ [2].

وجلس يوسف على عرش مصر ومرت السنوات ، ومات العزيز ، وكبرت سن زوجته (زليخا) ، وذات يوم كان يمر موكب يوسف فسمع امرأة عجوزًا تقول : "سبحان الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعتهم ، وجعل الملوك عبيدًا بمعصيتهم " .

فسألها يوسف عن ذلك ، ولما دعاها قالت له : إنها زليخا زوجة العزيز.

١- تفسير ابن كثير ص ٤٧٥م٢ .
٢- سورة يوسف : من الآية ٥٦ .

فطلبها يوسف للزواج وقيل : إن الله ﷻ رد إليها شبابها وجمالها وحسنها ، وقيل: إنها ما زالت بكرًا وقالت ليوسف : إن سيدها كان لا يقرب النساء ، وهكذا أرادها يوسف لنفسه ، فكانت نعم الزوجة ، وقد أنجبت له أولادًا منهم : ابنه (منسا ، أفرايم) وكان إخوة يوسف يترددون على مصر يطلبون القوت؛ لأن أرض المقدس كان بها جدب وفقر، فأعطاهم وعرفوا أنه هو ملك مصر، وأن خزائنها تحت يده ، فأرسل يوسف بقميصه إلى أبيه ، ولما كادت القافلة التي بها القميص تقترب من أرض المقدس ، قال يعقوب " إني لأجد ريح يوسف " وهنا قال له أولاده: ممن هم حوله :

﴿ .... إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾[1].

وما هي إلا أيام ووصل رسول يوسف بالقميص ، فوضعه أبوه يعقوب على وجهه فعاد إليه بصره بإذن الله ﷻ .

ثم عزم يعقوب وأولاده وزوجة يعقوب التي هي خالة يوسف الذهاب إلى مصر[2]، ثم دخلوا على يوسف ساجدين وهو جالس على عرش مصر، والسجود هنا هو الانحناء لذوى الشأن ، وكان ذلك تحية أهل هذا الزمان ، وتحققت رؤيا يوسف التي رآها وهي سجود الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا وهو دخول أبيه وهو الشمس وخالته وهي في منزلة أمه وإخوته الأحد عشر تحت طاعته ، وعاش يوسف وإخوته بأرض مصر، وعاش يعقوب من

١- سورة يوسف : من الآية ٩٥ .
٢- البداية والنهاية ص ٢٣٠م١ .

العمر مائه وثلاثين عاما ، وتوفى بأرض مصر ، وخرج يوسف وبعض رجاله ودفنوه بأرض المقدس مع أجداده ، وبكى عليه أهل مصر سبعين يومًا [1] .

كما عاش نبي الله يوسف مائه وعشرين عاما [2]، ودفن بمصر إلى أن خرج نبي الله موسى ببني إسرائيل من مصر فحمل جسد نبي الله يوسف [3] في تابوت ، ودفن بأرض المقدس مع أبيه يعقوب وأجداده بمغارة المكفلية بالخليل .

وذكر ابن كثير أن نبي الله يوسف ﷺ ألقى في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة .

وقد تولى أخوه يهوذا أمر مصر من بعده .

إخوة يوسف [4] :

- كان لنبي الله يوسف أحد عشر من الإخوة وبنت واحدة، فمن أولاد يعقوب من زوجته { ليا } :

1. روبيل .
2. شمعون .
3. لاوى .
4. يهوذا.

١- البداية والنهاية ص ٢٤٦م١ .
٢- أعمار الأنبياء ص ٧٧ .
٣- قصص القرآن ١٦٩ .
٤- أعمار الأنبياء ص ٧٨ .

٥. إيساخر.

٦. زابلون .

- أولاد يعقوب من { زلفى } جارية { ليا }[1] :

١. جاد .

٢. أشير.

٣. بنت تسمى دنيا .

- أولاد يعقوب من زوجته { راحيل } :

١. يوسف .

٢. بنيامين .

- أولاد يعقوب من {بلهى} جارية {راحيل} :

١. دان .

٢. نفتالى .

من دعاء يوسف وهو في البئر :

(يا شاهد غير غائب

يا قريب غير بعيد

يا غالب غير مغلوب

اجعل من أمري فرجًا ومخرجًا) .

١- قصص القرآن ١٧٠ .

صاحب جريج العابد

ذكر الإمام البخاري رضي الله عنه أن من الذين تكلموا في المهد صاحب جريج أو هو المعروف بابن راعى الغنم .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ[1] لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم **قال** : وكان في بني إسرائيل رجل عابد يقال له جريج فابتنى صومعه وتعبد فيها ، **قال** فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج، **فقالت بغيٌّ** منهم: ولئن شئتم لأفتننه قالوا: قد شئنا ذاك ، قال: فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأمكنت نفسها من راعٍ كان يؤوى غنمه إلى جوار صومعة جريج ، فحملت فولدت غلامًا ، **فقالوا لها**: ممن؟!

قالت : من جريج .

فأتوه فاستنزلوه فشتموه وضربوه وهدموا صومعته .

فقال : ما شأنكم ؟

قالوا : إنك زنيت بهذه البغى فولدت غلامًا .

فقال : وأين هو ؟

قالوا : هو هذا .

قال : فقام فصلى ودعا ، ثم انصرف ، إلى الغلام فطعنه بأصبعه .

فقال : بالله يا غلام من أبوك ؟

١- رواه البخاري ٣٤٣٦ فتح الباري ٥٧٣م٦ .

فقال : أنا ابن الراعي ، فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه ، وقالوا نبني لك صومعتك من الذهب [1] .

قال : لا حاجة لي في ذلك . ، أبنوها من طين كما كانت ، قال : وبينما امرأة في حجرها ابن لها رضيع ، إذ مر بها راكب ذو شارة فقالت : اللهم اجعل ابني مثل هذا ، قال : فترك ثديها وأقبل على الراكب .

فقال : اللهم لا تجعلني مثله .

قال : ثم عاد إلى ثديها فمصه .

قال أبو هريرة : فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى قصة الصبي ووضع إصبعه في فيه يمصها ، ثم مرت بأمة تضرب فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه؟

فترك ثديها وأقبل على الأمة .

فقال : اللهم اجعلني مثلها .

قال : فداك حين تراجعها الحديث ، فقالت : خلفي مر الراكب ذو الشارة فقلت : اللهم اجعل ابني مثله ، فقلت : اللهم لا تجعلني مثله ، ومررت بهذه الأمة ، فقلت : اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت : اللهم اجعلني مثلها .

فقال : يا أماه إن الراكب ذا الشارة جبار من الجبابرة ، وإن هذه الأمة يقولون زنت ولم تزن وسرقت ولم تسرق وهى تقول : حسبي الله [1] .

١- أخرجه البيهقى ١٠٧٩ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : كان جريج يتعبد في صومعته قال فأتته أمه ، فقالت : يا جريج أنا أمك وكلمني قال: وصادفته يصلي،قال : يا رب أمي وصلاتي فاختار صلاته ، فقالت أمه : إنه ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني . اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات ، ولو دعت عليه أن يفتن لافتتن ، وكان هناك راعٍ يأوي إلى ديره فخرجت امرأة فوقع عليها الراعي ، فولدت غلامًا ، فقيل : ممن هذا؟ فقالت : هو من صاحب الدير ، فأقبلوا بفؤوسهم ، ومساحيهم ، وأقبلوا إلى الدير، فنادوه فلم يكلمهم ، فأقبلوا يهدمون ديره ، فنزل إليهم فقالوا : سل هذه المرأة قال : أراه تبسم .

ثم مسح رأس الصبي ، فقال : من أبوك ؟

قال : الطفل راعى الغنم (وكان يسمى بن يونس) قالوا : يا جريج نبنى لك ما هدمناه من ديرك بالذهب والفضة [٢] ؟

قال : لا ولكن أعيدوه كما كان .

وقد حفظ الله ﷻ جريجًا من الفتنة وذلك بفضل بره لأمه من قبل ، كما أن الله حفظه بفضل صلاة النوافل فما بالنا بالمحافظة على الفرائض من الصلوات .

وقد استجاب الله بجريج وقت الشدة لأنه عرف الله في الرخاء ، فعرفه الله وقت الشدة ، كما أنه لم ينظر إلى ما حرم الله النظر إليه وحفظه الله من

١- رواه مسلم ٢٥٥٠م٨ .
٢- البداية والنهاية ٥١٦م٢ .

الفتنة على عكس ما حدث { لبرصيصا } الذي قدر أن يفتن ففتن ، فقد ذكر ابن مسعود **قال** : كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها إخوة أربعة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب .

فقال الراهب : انزل وافجر بها ، فحملت فأتاه الشيطان **فقال له** : اقتلها، فقتلها ثم دفنها؛ لأن الشيطان سول له أن يقتلها ويدفنها .

فأتى الشيطان إخوتها في المنام ، **فقال لهم** : إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا **قال رجل منهم** : والله لقد رأيت البارحة ، رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ، **قالوا**: لا بل قصها علينا ، قال فقصها ، **فقال الآخر** : لقد رأيت مثل ذلك [1] .

وقال الثالث : والله لقد رأيت مثل ذلك ، **وقال الرابع** : فوالله لقد رأيت مثل ذلك ، وانطلق الأربعة إلى هذا المكان فنبشوه فوجدوا جثه أختهم ، ثم ذهب الشيطان إلى هذا العابد { برصيصا } وقال له إنك وقعت في الشر ، ولن ينجيك إلا أنا ؛ إن سجدت لي سجدة واحدة ، فسجد للشيطان ، ثم جاء إخوة هذه المرأة فذهبوا به إلى ملكهم وأخذ {برصيصا} فقتل ، وينطبق على هذا العابد{برصيصا } **قول الله تعالى** :

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] .

١- البداية والنهاية ٥١٦م٢ .
٢- سورة يوسف : من الآية ٥٦ .

فضل بر الوالدين :

لقد حفظ الله هذا العبد الزاهد جريجا من الفتنة ، وذلك لأنه كان أكثر الناس برًّا بأمه ، ولولا أن صلاته كانت خالصةً لوجه الله لما حفظه الله من الفتنة ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ... ﴾[1].

ومن بر الوالدين صلة الأرحام من جانب الأم والأب ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ... ﴾[2].

وقد أوصى الله ﷻ الإنسان بالوالدين ، وذلك لما كان منهما من فضل على الأبناء من متاعب الحياة اليومية ومن حمل وولادة وغيرها ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ... ﴾[3].

ومن الوصايا التي أوصى بها حكيم بني إسرائيل لقمان لابنه وهو يعظه ببر الوالدين ، وقد جاءت وصيته لابنه بعد أن نصحه بعدم الشرك بالله وذلك لقول الله تعالى :

١- سورة النســـاء : من الآيـــة ٣٦ .
٢- سورة النســـاء : من الآيـــة ١ .
٣- سورة العنكبوت : من الآيـــة ٨

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

وقد ربط رسول الله ﷺ بين الإيمان باليوم الآخر وبر الوالدين ، وذلك لقول رسول الله ﷺ " من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر ، فليقل خيرًا أو ليصمت " .

وقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ عن أحق الناس بحسن صحابته ، فقال رسول الله ﷺ : أمك [2].

فقال الرجل : ثم من ؟ **قال رسول الله ﷺ : أمك .**

فقال الرجل : ثم من ؟ **قال رسول الله ﷺ : أمك .**

فقال الرجل : ثم من ؟ **قال رسول الله ﷺ : أبوك .**

ويقول رسول الله ﷺ " ليس الواصل بالمكافئ ؛ ولكن الواصل الذي إذ انقطعت رحمه وصلها " .

١- سورة لقمـــان : الآيات ١٣ : ١٥

٢- أخرجه أحمد ٣٩٥م٢

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :" الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله" .

البعد عن الفواحش :

ومن أسباب النجاة عدم ارتكاب الفواحش والذنوب ؛ لأن الذنوب تجعل القلب يقسو ويتباعد العبد عن ربه .

وبالذنوب يكون الإنسان قد ظلم نفسه وظلم غيره ، والظالمون ليس لهم عند الله ولى ولا شفيع ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٨ ﴾[1] .

لأن أكبر الظلم هو ظلم العبد نفسه بأن يعق والديه أو يترك الصلاة .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الظلم ؛ لما رواه جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشُّحَّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يقتص من الظالمين للمظلومين .

وذلك لقول أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقتص للشاة القرناء من الشاة الجلحاء "

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ " المسلم من سلم الناس والمسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" .

١- سورة الشورى : من الآية ٨ .

تعظيم الحرمات :

لقد جاءت { المومس } إلى هذا العابد وأخذت تراوده ليفعل معها الفاحشة؛ ولكن الله عصمه من الخطيئة وأنزل الإيمان في قلبه فعمر هذا القلب بالإيمان بالله ، وحرم هذا العابد { جريج } على نفسه مجرد النظر إلى هذه السيدة الباغية .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ... ﴾ [1].

ولولا إيمان هذا العابد لهدمت بنو إسرائيل جسده ، كما هدموا صومعته ؛ ولكن الله أيده وجعل له هذه الكرامة بأن أنطق هذا الغلام الرضيع في المهد وقال { أنا ابن يونس } راعى الغنم ، ورغم أن هذه السيدة أم هذا الغلام تعلم براءة هذا العابد إلا أنها افترت عليه لنعلم أن الله ينصر عباده الذين آمنوا في الدنيا والآخرة .

حفظ الفرج :

من صفات المؤمنين: حفظ الفروج لقول رسول الله ﷺ فيما معناه " اضمن لي ما بين فخذيك وما بين فكيك أضمن لك الجنة "

ولقول الله تعالى عن صفات المؤمنين :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ [2].

لأن الزنا من أكبر الكبائر، وذلك لأنه يجعل الأنساب تختلط، ويجعل من ليس له حق في الميراث أن يرث ما ليس له فيه حق .

والذين يحفظون فروجهم بشرهم الله بجنتين، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾ [1].

١- سورة الحج : من الآية ٣٠ .
٢- سورة المؤمنون : الآية ٥ .

وقد طمع هذا العابد { جريج } فيما عند ربه من خير لأنه يعلم أن هذه الشهوات عرض زائل ، وأنه إن فعل هذه الفواحش نزل عليه غضب الله ﷻ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ ﴾[2] .

بل رغب فيما عند ربه من نساء الحور العين اللاتي هن أفضل بكثير من نساء الدنيا ، وعملاً بقول الله تعالى :

﴿ ... وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ ﴾[3] .

لأن الخوف من الله ﷻ هو أرفع درجات العبادة ؛ لأن العبد يراقب ربه ويتقيه ، وذلك لقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من خاف أدلج ، ومن أولج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة " .

وهذه طاعة من العبد لربه وقد قال الله ﷻ عن الطائعين في الحديث القدسي فيما معناه " من تقرب إلى بطاعته تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعته أتيته هرولة ، أي صببت عليه الرحمة وأعمه بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود " .

فبطاعة الله والخوف منه وتقواه تقضى الحوائج .

١- سورة الرحمن : الآية ٤٦ .
٢- سورة البروج : الآية ١٢ .
٣- سورة البقرة : من الآية ٤٠ .

الصبي الرضيع

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، وذكر عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، والصبي الرضيع فقال: بينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه، إذ مر بها راكب ذو شارة { هيبة }[1] ،فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا:

قال فترك الطفل ثديها وقال : اللهم لا تجعلني مثله .

قال : ثم عاد إلى ثديها فمصه .

قال أبو هريرة : فكأني أنظر إلى رسول الله يحكى قصة الصبي ووضع إصبعه في فيه يمصها ، ثم مرت بأمَة تضرب، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثلها ، فقلت : لما مررت بالشاب ذو الشارة فقلت: اللهم لا تجعلني مثله لأنه جبار من الجبابرة .

ومررت بالسيدة التي تعذب فقلت: اللهم اجعلني مثلها ، فقال لها: لأنه يقال عنها سرقت وما سرقت ويقال عنها زنت وما زنت وهى تقول: حسبي الله ، وقد أنطق اللهﷻ هذا الغلام في المهد؛ ليكشف لأمه ولأصحاب العقول أنه لا يجب أن نحكم على الناس من الظاهر؛لأن ما في الباطن ، الله يعلمه ، فهذه سيدة تعذب وتضرب ، ويقال عنها : إنها سرقت وما سرقت وزنت وما زنت بل حفظت فرجها كما أمر اللهﷻ ، بل قذفت بهذه الاتهامات

١- رواه البخاري ٣٤٣٦ .

لأسباب عديدة يعلمها الله منها : أنها ربما رفضت فعل الفواحش أو رفضت شهادة الزور. أو التزمت الحق .

ولا عجب ، فقد تمنى الكثيرون من رجال عصر قارون في زمن سيدنا موسى ﷺ أن يكونوا لهم مثله ، من مال وجاه ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ... ﴾[1].

ولم يمر إلا قليل من الزمان وخسف بقارون وما له الأرض بأمر الله ﷻ؛ لأنه قد عصى الله ﷻ وأخذه الكبرياء والغرور بماله فما نفعه هذا المال ، بل كان سببًا في هلاكه والله ﷻ جعل هذه الأم أم هذا الصبي الذي تكلم في المهد ؛ لأنه كشف لها عن بعض من أسرار الله الذي جعلها في هذا الشاب الجبار الظالم ، وفى هذه السيدة التي تضرب بدون ذنب ، وفى ظاهر الأمر أنها تعذب لما قذفت به من هذه الأمور؛ ولكن الله يبتلى العبد على قدر دينه وكفاها قولاً .

﴿ ... حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

كما أن هذه السيدة التي تضرب واتهمت بالسرقة أو بالزنا ، وهى من كل ذلك بريئة ، قد كتب الله لها هذا الطفل الرضيع على ثدي أمه أن يتكلم في المهد؛ لتكون لها آية وكرامة في الدنيا، وليفتح لنا بابًا جديدًا، وهو ألا

١- سورة القصص : من الآية ٧٩ : ٨٠ .

٢- سورة آل عمران : من الآية ١٧٣ .

نعيب على أهل الذنوب وأن نشغل أنفسنا بذنوبنا ، وألا ننشغل بالآخرين ، إلا إذا كان في الإمكان النصح دون الضرر لهم أو الإساءة إلى هذا الدين .

وعلينا أن نطرق بابًا آخر لنعرف أن هناك الكثيرين من الناس قد اتهموا ظلمًا ، ولم يكن هناك من أحد يعلم أن ما نزل بهم إلا من الذين ظلموهم ، وربما لا يعرفون .

إلا أن الله ﷻ وحده هو المطلع على الظلم والظالمين ، وقد كتب للمظلومين الثواب بالصبر على هذا البلاء والكرب الذي نزل بهم ، ولكن الله ﷻ حرم الظلم بين الناس ، لقول الله تعالى في الحديث القدسي :

"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظلموا"[1].

لأن جميع الناس مردهم إلى الله ﷻ وسوف يجزى الله المظلومين الجنة ، والظالمين النار ، كما أنه يجب ألا يظن بأهل الخير شيئًا رغم أن هذه الأمة التي ترضع ابنها قد تمنت أن يكون ابنها مثل هذا الشاب أو هذا الفارس على فرسه ، وما عليه من الهيبة والوقار ؛ ولكنه كان واحدًا من جبابرة الأرض ، وقد كشف الله لهذا الطفل الرضيع الحجاب ، فرأى ما لم يره أصحاب العقول من الناس ، وتلك هي آيات الله وحكمته يجعلها لمن يشاء ، فعليكم يا إخواني بتقوى الله ومراقبته والاستقامة والخوف من الله ، والتضرع إليه بالأعمال الصالحة ، إقتداءًا بالأنبياء والصالحين .

١- رواه الأمام مسلم في باب بر الوالدين .

كمـا يجـب علـى العبـد الطـائع أن يخلـص لربـه في الطاعـة ، وأن يحسن النية ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[1].

كما أنه يجب على العبد أن يخلص لله في أعماله ، وأن يبتعد عن الرياء والسمعة عما يعمل ، وأن يكون عمله خالصًا لوجه الله ﷻ؛لأن الله عزيزغنى عـن عبـادة العبـد ، وإنفـاقـه في سـبيل الله ﷻ ، ولـن ينـالـه مـن ذلـك شـيء إلا تقوى الله وطاعة عبده له ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ... ﴾[2].

لأن الله مطلع على مـا يـدور بين العبـد ونفسه وهـو أقـرب إلى العبـد مـن نفسه، وذلك لقول الله تعـالى :

﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ... ﴾[3].

وفى هذا بيـان من الله وتأكيـد على أن العبـد العـاصي لربـه مهمـا كـانـت ذنوبـه خفيـة عـن عيـون النـاس ، فـإن الله يعلمهـا وسـوف يـأتي بهـذه الـذنـوب على رؤوس الأشـهـاد .

وعليه أن يسارع بالتوبة والاستغفار إلى الله ﷻ ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ... ﴾[1].

١- سورة البينـــــة : الآيـــــة ٥ .
٢- سورة الحــــج : من الآية ٣٧ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ٣٧ .

وعلى العبد أن يعاهد ربه على البعد عن فعل الذنوب وأن يرد المظالم إلى أهلها إن استطاع ، أو يطلب منهم السماح والمغفرة وأن يجعل لسانه وقلبه وعقله دائم الاستغفار إلى الله ﷻ ، و ذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ... ﴾ [٢].

وقد كان رسول الله ﷺ رغم أن الله غفر ما تقدم له من ذنبه وما تأخر ، وأن الذى أدبه ورباه هو الله كان دائم الاستغفار والتوبة إلى ربه .

وذلك لقول أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " .

وعلينا أيضًا بالصبر لأن الصبر مفتاح الفرج ، لأن الصبر نداء من الله ﷻ ، لقوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ... ﴾ [٣]

وأن يستعينوا على مكاره الحياة بالصبر والصلاة ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ...ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [٤]

والمصائب التي تنزل بالعبد هي اختبار من الله لعبده .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ ... ﴾ [٥]

١- سورة التحريم : من الآية ٨ .
٢- سورة هود : من الآية ٩٠ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ٢٠٠ .
٤- سورة البقرة : من الآية ١٥٣ .
٥- سورة محمد : من الآية ٣١ .

ابن ماشطة بنت فرعون

يقول ابن عباس ﷺ : قال رسول الله ﷺ :

لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت :ما هذه الرائحة ؟ قال: أي جبريل: ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها ، فقالت : بسم الله الرحمن الرحيم .

فقالت بنت فرعون : أبى .

قالت الماشطة : ربى وربك ورب أبيك .

قالت البنت : أولك رب غير أبى ؟

قالت : نعم ربى وربك ورب أبيك الله ، فأمر ببقرةٍ من نحاس، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها ، فألقوا واحدًا بعد واحد حتى بلغ رضيعها فيهم .

فقال : هذا الصغير الرضيع (قعي يا أمي ولاتقا عسى ، فإنك على الحق)[1] .

وقيل: إن ماشطة بنت فرعون ، هي زوجة مؤمن آل فرعون الذى قال : (آمنت برب هارون وموسى) وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وحذر موسى من فرعون ورجاله وأنهم يريدون قتله ، ونصحه بالخروج فرارًا من هؤلاء الظالمين .

١ـ قصص القرآن ، ٢٤٢ .

وهذه علامة من العلامات التي تدفع بالمؤمنين بالتمسك بالحق وأن عذاب الجبارين لا قيمة له ، فلا اعتبار له فقد قال السحرة الذين آمنوا برب سيدنا موسى بعدما ظهر لهم الحق ، فلم يعنهم توعد فرعون لهم بالعذاب ، وأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف .

فكان إيمانهم بالله قويًا وشديدًا ، وعلموا أن نعم الله الأجدى ، ورضا الله أفضل من كل نعيم في الدنيا ، والله ﷻ يرسل جنوده يدافعون عن الذين آمنوا .

وذلك لقول الله تعالى : ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ [1]

وما نفع فرعون وجنوده ظلمهم بل خسروا به الدنيا والآخرة ، فما دامت لهم الدنيا ، وما كان لهم في الآخرة إلا العذاب الأليم .

يا نار كوني بردًا وسلامًا :

الله ﷻ يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ...إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [2].

١- سورة المدثر : من الآية ٣١ .

٢- سورة آل عمران : من الآية ١٧٣ : ١٧٤ .

لما أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام (النمرود) ملك بابل وقتئذ ، أن يعبد الله عز وجل ، ويترك عبادة الكواكب والنجوم التي كان يعبدها أهل بابل .

بعد أن زعم هذا الملك أنه يحيي الموتى ، وجاء باثنين حكم عليهم بالقتل ثم قتل واحدًا منهم وقال : لقد أمت هذا ، ثم عفى عن الآخر وقال : ها أنا أحييت هذا .

فقال له سيدنا إبراهيم عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق في الصباح ، هل لك أن تأتي بها من المغرب ، وهنا عجز هذا الجبار أن يرد على سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

وقيل : إن الدنيا ملكها أربعة مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان ، فسليمان بن نبي الله داود ، وذا القرنين ، وأما الكافران ، فالنمرود وبختنصر ورغم أن هذا الملك النمرود ملك بابل قد ملك الدنيا بكل ما فيها إلا أنه خسر الآخرة وكان من أهل النار بل من وقودها .

١- سورة البقرة : من الآية ٢٥٨ .

ولما غضب هذا الملك على سيدنا إبراهيم ، أمر أن يجمع الحطب والخشب ، ويقيد إبراهيم من قدميه ويديه ، وأن يلقى به في النار ، وبالفعل فعل رجاله ذلك ؛ ولكن سيدنا إبراهيم صبر على هذا الملك ، وما كان من عذابه له ، حتى دعا سيدنا إبراهيم ربه قائلا : (اللهم إنك في السماء واحد ، وأنا في الأرض واحد أعبدك) [1] .

وضع سيدنا إبراهيم في جفنة ، وألقى في النار من بعيد من شدة النار .

حتى أن الطير التي كانت تمر من فوق النار كانت تشوى من شدة اللهيب وارتفاع النار؛ ولكن الله أمر النار ألا تؤذى سيدنا إبراهيم عليه السلام وأمرها أن تكون بردًا وسلاما على سيدنا إبراهيم .

وذلك لقول الله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [2] .

فحرقت النار قيود سيدنا إبراهيم عليه السلام ولم تؤذه .

وكان سيدنا جبريل عليه السلام يأتي سيدنا إبراهيم قال : وهو في النار يمسح عرقه ويطعمه ويسقيه ، حتى قيل إن سيدنا إبراهيم قال : أجمل الأيام التي عاشها هي التي كانت في النار وهذا جزاء الصبر ، وكانت جميع الحشرات والطيور تأتى النار لتنفخ فيها لتطفئها إلا الوزغ فقد كان ينفخ ليشعلها على سيدنا إبراهيم ؛ لذلك أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقوله :(إن إبراهيم لما ألقى في النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه) [3] .

١- البداية والنهاية صـ١٧٠ م١ .
٢- سورة الأنبياء : من الآية ٦٩ .
٣- رواه أحمد ٢٥٧٠٣ .

وكان سيدنا إبراهيم قد جعل الله له روضة خضراء يجلس فيها وهو في النار، والناس يشاهدون ذلك من بعيد من شدة النار التي لا يقدرون على الاقتراب منها .

فهذا الغلام الرضيع ابن ماشطة بنت فرعون الذي تكلم في المهد ، فقد كشف الله عنه الحجاب ، وعلم أن هذه النار ما هي إلا نار يراها البصر ، أما هي في جوهرها وحقيقتها ، فهي خير وفضل من الله وقد أنطق الله لسانه دون غيره من الأطفال بفضل ثواب أمه التي عبدت ربها ، وأخلصت له في العبادة ، ولا عجب ، أن فعل فرعون مع ماشطة ابنته ، فقد فعل ذلك مع زوجته من قبل (آسية بنت مزاحم) عندما دعت الله ﷻ أن يجعل لها بيتًا في الجنة ، وقد أوتد لها وربطها من كل جانب وشد الطرفين وهى بينهما ، ورغم كل هذا العذاب إلا أنها صبرت فجزاها الله بهذا الصبر وهذا الاحتمال على هذا العذاب ، وأن جعلها من أفضل نساء العالمين الأربعة .

وجعلها الله ﷻ من نساء رسول الله ﷺ في الجنة ، وذلك لقول رسول الله ﷺ (حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين: فاطمة بنت محمد ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية بنت مزاحم ، ومريم بنت عمران) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ، ثم فاطمة ، ثم خديجة ، ثم آسية امرأة فرعون) وهى من النساء اللاتي كمل عقلهن ودينهن.

وذلك لقول أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[1] .

ولقول رسول الله ﷺ : (إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون ، وأخت موسى) .

ويذكر ابن عباس أن رسول الله ﷺ قد دخل على أم المؤمنين خديجة في مرض موتها ، فقال لها : (يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن منى السلام ، قالت : يا رسول الله ، وهل تزوجت قبلى ؟ قال : لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ، وكلثم أخت موسى .

وآسية بنت مزاحم هي التي قالت قول الله تعالى :

﴿ ...رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ... ﴾[2] .

وعن قصر آسية بنت مزاحم يقول رسول الله ﷺ : أنه لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم وهما من أزواجي يوم القيامة .

وهذه السيدة التي ألقيت هي وأولادها في البقرة النحاسية التي أحميت عليها النار ، قد كانت صابرة ؛ لقول الله تعالى :

١- البخارى ٣٤١١ .
٢- سورة التحريم : من الآية ١١ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ... ﴾ [1] .

ولقول الصحابي الجليل أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

(من يرد الله به خيرًا يصب منه) .

والله ﷻ يعلم مدى صدق العبد في عباداته ونصحهم بالصدق .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ... فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [2] .

ولم تلق هذه السيدة بالاً بما سينزل بها من العذاب من الفرعون ورجاله ؛ لأنها على يقين بالله بأن هذا العذاب لا يساوى شيئًا من عذاب الآخرة إن هي كفرت بربها ، كما أن الله قد أذاقها حلاوة الإيمان ، ولم تخش هذا الموقف وكانت من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [3] .

١- سورة آل عمران : من الآية ٢٠٠ .
٢- سورة محمد : من الآية ٢١ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ١٧٣ : ١٧٤ .

ابن امرأة الأخدود

تذكر كتب قصص الأنبياء ، ما ذكره الصحابي الجليل صهيب الرومي قال : قال رسول الله ﷺ :

كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال الملك [1]، إني قد كبرت فابعث إلى غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا ، يعلمه وكان في طريقه راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلا الراهب فقال :

إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإن خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرًا ، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس ، فرماها فقتلها ، ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره ، فقال : له الراهب . أي بنى أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوى الناس ، من سائر الأدواء ، فسمع جليس الملك وكان قد عمى ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما معنا لك أجمع إن أنت شفيتنى [2]،

١- رواه الترميذى ٣٣٤٠ وبن حبان ٨٧٣ .

٢- رواه الأحمد ١٧م٦ والنسائى في التحفة ١٩٨م٤ .

فقال : إلى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله تعالى ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك ، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى .

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟

قال : ربى .

قال : ولك رب غيري ؟

قال : ربى وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل فقال : إني لا أشفى أحدًا ، إنما يشفى الله تعالى فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الراهب فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء الغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا إلى جبل كذا وكذا . فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم زروته . فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل [1] .

فقال: اللهم أكفينهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فقطعوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال الملك : ما فعلت بأصحابك ؟

فقال اكفينهم الله تعالى :

١ـ ذكره الطبرانى في الكبير ٧٣١٩ ، ٧٣٢٠ .

فدفعه ، إلى نفر من أصحابه ، فقال: اذهبوا به فاحملوه في مركب وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به فقال : اللهم اكفينهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ، فماتوا وجاء يمشي إلى الملك .

فقال الملك : ما فعلت بأصحابك ؟

فقال : اكفينهم الله تعالى :

فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال الملك : ما هو ؟

قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني ، ثم قل (باسم الله رب الغلام) ، ثم ارمني فإنك إن فعلت ذلك قتلتني فجمع هذا الملك الناس في صعيد واحد ، وصلب الغلام على جنح ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم ، في كبد القوس . ثم قال : باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه ، فمات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام فأتى رجال الملك وقالوا له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك ضدك ، قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فحفرت وأضرم فيها النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام(يا أماه اصبرى فإنك على الحق) [1]، وهذا الصبي ابن هذه السيدة إحدى نساء أصحاب الأخدود ، والمؤمنة بالله واحد من الذين تكلموا في المهد ، وهذا بيان من الله لأمه أنها على الحق ولا

١- رواه أحمد١٧م٦ .

تخش عذاب الدنيا ، وأنها من الشهداء الأحياء عند الله ﷻ ، فلا ينظر أهل الحق وأتباعه إلى البلاء على أنه من كره الله لهم ، بل هو من الاختبار وامتحان من الله ﷻ ، ليكون منهم الصبر ولهم الثواب وهذا الثواب هو ثمن الجنة لقول رسول الله ﷺ فيما معناه : " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " وليس أدل على ذلك من الدجال وما معه من نار وجنة [1] .

فناره جنة لمن لم يقع منها وجنته نار لمن يقع فيها وإنما هي الفتنة والاختبار من الله ﷻ .

وقد ذكر القرآن الكريم أصحاب الأخدود وما فعل بهم ، وذلك لقول الله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ ﴾ [2] .

وقيل إن هذا الغلام الذى قتله الملك كان يسمى " عبد الله تامر " [3] وأن رجلاً من أهل نجران في زمن سيدنا عمر بن الخطاب كان يحفر حفرة مقبرة له ، فوجد هذا الغلام وهو واضع يده على صدغة ، وقد دفن بهذه الخربة

١- قصص القرآن ٤٣٥ .
٢- سورة البروج : الآيات ٤ : ١٠ .
٣- قصص القرآن ص ٤٣٥ .

وكلما حاول أن يقيم يده عادت على صدغة كما كانت ، وفي يد هذا الغلام خاتم مكتوب عليه(ربي الله).

وقد كتب هذا الرجل إلى سيدنا عمر بن الخطاب بهذا الأمر، فرد عليه سيدنا عمر بن الخطاب بقوله " أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه "، ففعلوا ذلك .

فضل الصبر :

إن لم يكن للإنسان وقفات مع نفسه عند هذه المواقف التي قد تحدث له أو لغيره ، فلا قيمة للعمل لأن العلم الذي نتعلمه إن عملنا به يقربنا إلى الله ﷻ ، ونتقى به شر من شرور الناس أو شرور أنفسنا مثل وساوس الشيطان التي تجعل العبد من السهل أن تهوى قدمه إلى الهاوية ، ولنعلم أن أكثر الناس بلاءً هم الأنبياء والصالحين ، وهذا على قدر دينهم وإيمانهم بالله ورسوله ولذلك أكد الله ﷻ على فضل الصبر في القرآن ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ..... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

والصبر على النوازل التي تنزل بالعبد هي أكبر المحن التي يكتب الله ﷻ بالصبر عليها لصاحبها أعلى الدرجات في الجنة .

١- سورة الزمر : من الآية ١٠ .

ولنا أن ننظر إلى ما قدر الله لعبده ورسوله أيوب عليه السلام الذي صبر حتى طال به المرض ، وهلك جميع ماله ومات جميع أولاده حتى نزل البلاء بجسده ولم يبق عضو بجسده بدون مرض ؛ ولكنه صبر أجمل الصبر حتى قيل له ألا تدعو الله ليرفع عنك ما أنت فيه ، فقال إني أستحي أن أدعو الله وأطلب منه ذلك ، فكم عشت من السنوات مريضًا سقيم ، فكيف أجزع مما نزل بي الآن .

وها هو نبي الله يعقوب عليه السلام صبر على ما نزل به من أولاده الذين فرقوا بينه وبين ابنه يوسف ، وأخذ يبكي حتى كف بصره ولكن قال قول الله تعالى :

﴿ ..... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ..... ﴾[1] .

ورغم غياب ابنه عنه إلا أنه عاد إليه ، ورفعه الله على عرش مصر ، وهكذا يوفى الصابرون أجرهم ، وها هنا ينطق هذا الصبي ابن امرأة أصحاب الأخدود ، ويقول لأمه : اصبري يا أمي إنك على الحق وهذا العذاب الذي قد تراه العين ما هو إلا عذاب يراه البصر ، وقد يكون في باطن هذا العذاب النعيم والرحمة .

ولولا ذلك لما أنطق الله هذا الغلام الرضيع الذي يوصى أمه أن تقع في النار ، وأنها بالصبر فسوف تجد ثواب كل ذلك عند الله .

١- سورة يوسف : من الآية ١٨ .

ولا عجب فقد ألقت من قبل أم سيدنا موسى عليه السلام به في النهر وهو طفل رضيع دون أن تدرى إلى أين يذهب به هذا النهر، ولكنها استجابت لأمر الله ﷻ الذي أوحى إليها أن تفعل ذلك، فلم تناقش ولم تجادل وتلك هي حياة المؤمنين وصفاتهم، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم، وأن يكتب لنا الجنة مع رسول الله ﷺ وأصحابه يقول الله ﷻ في الحديث القدسي، فيما معناه سلطت ثلاثًا على ثلاثٍ ولولاهن لفسد ملكي، سلطت السوس على الغلال، ولولا السوس لادخرتها الملوك، وسلطت النتن على الميت، ولولا النتن ما دفن الميت.

وسلطت الصبر على المصاب ولولا الصبر لهلك المصاب.

وما من نبي إلا أمر أهله وأتباعه بالصبر؛ لأنه إن لم يكن من العبد الصبر على البلاء والشكر في السراء، فبأي شيء يدخل الجنة وقد أمر الله ﷻ الناس بالاستعانة بالصبر في كل الأحوال، وذلك لقول الله تعالى:

﴿..... ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

وكم تعرض رسول الله ﷺ للعديد من ألوان العذاب والإيذاء من أهل مكة، ومن يهود المدينة المعروفين بالأحزاب وخيره الله ﷻ أن يطبق الجبال على أهل مكة؛ ولكن رسول الله صبر عليهم وقال (لا يا رب، عسى أن يجعل الله ﷻ من بين أصلابهم من يؤمن بالله ﷻ) ويجب على العبد أن يصبر

١- سورة البقرة : من الآية ١٥٣ .

على عدوه مهما كان أحمقًا وأن يصبر على أولاده وعلى زوجته وعلى جيرانه إذا كان منهم من الأفعال السيئة .

وليس أدل على أهمية الصبر من أن يظهر الله لعبده ثوابه وفضله في حينه ؛ ولكن علينا أن نصبر والله عنده حسن الثواب وحسن الفضل ووعده حق .

فكم من نبي ذبح بالمنشار، وكم كان صبره ؛لأنه يعلم أن الله ﷻ سوف يجعل له بذلك حسن الثواب والدرجات العليا في الجنة .

لأن الله يصيب ممن هم أقرب إليه وذلك لقول الصحابي الجليل أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ " من يرد الله به خيرًا يصب منه " .

ومن شروط الصبر أتباع الصدق ، وأن يكون الصبر من القلب ، وأن أفضل ما يقال عند النوازل والكروب قول الله تعالى :

﴿ ..... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1] .

لأن كل ما يصيب الإنسان مقدر عليه فإن صبر فاز بالثواب والجنة : وإن جزع خسر، وكان من الذين غضب الله عليهم بهذا الجزع ، بل عليه أن يتذكر ما حدث للأنبياء والصالحين ، وما كان منهم من الصبر.

١- سورة البقرة : من الآية ١٥٦ .

ابن رجل اليمامة

يذكر أحد صحابة رسول الله ﷺ. أنه لما حج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، ومر بدارٍ من إحدى دور مكة ، وكان رسول الله ﷺ بهذه الدار ، فبينما رسول الله ﷺ بها ، إذ دخل عليه ومعه غلام [1] .

فقال رسول الله ﷺ لهذا الغلام الرضيع : من أنا يا غلام ؟ .

فقال الغلام : " أنت رسول الله " .

فقال رسول الله ﷺ " صدقت وبارك الله فيك " .

ثم قيل إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب .

ويقول راوي الحديث : فكنا نسميه "مبارك اليمامة" .

وكلام هذا الصبي الرضيع : هي واحدة من المعجزات التي أيد الله بها ﷻ الرسول ﷺ إذ إن هذا الطفل الرضيع قد نطق وهو في المهد ، وشهد بنبوة رسول الله ﷺ .

١ـ البداية والنهاية ص ١٦٦م٢ .

حب الصالحين وعدم إيذائهم

قد أمر رسول الله ﷺ بحب أصحابه والإقتداء بهم لقول رسول الله ﷺ "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ".

وقد نهى رسول الله ﷺ عن عدم سب الصحابة أو إيذائهم ؛ لأنهم أهل الله وخاصته ، وهم الذين نصروا رسول الله واتبعوا الحق سواءً كانوا أنصارًا أو مهاجرين .

وقال رسول ﷺ . " من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب " [1] .

وقال رسول الله ﷺ . " لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ، ما بلغ أحدهم ولا نصيفه " .

وعن فضل الصحابة قال : رسول الله ﷺ (الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم أحببته ومن أبغضهم أبغضته ، ومن أذاهم فقد أذاني ، ومن أذاني فقد أذى الله ومن أذى الله أوشك بأن يأخذه) ، وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . " من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ".

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ . " إن الله اختارني وأختار لي أصحابي وجعل لي أصحابًا وإخوانًا ، وأصهار وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم

١- الكبائر ٢٦٣ .

وينقصونهم ، فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ، ولا تصلوا معهم [1] .

وقال بن مسعود قال رسول ﷺ : " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإن ذكر النجوم فأمسكوا " ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا وعن فضل الخلفاء الراشدين قال رسولﷺ :

" من أحب الصديق فقد أقام منار الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب عليًا ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله فقد برئ من النفاق . وعن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ :

" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشديين المهدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور " .

وكانت هذه الوصايا من رسول الله ﷺ ، بحب أصحابه وإتباع سنتهم ؛ لما وجد رسول الله عليهم من طاعة الله والزهد في الدنيا والبعد عن الشهوات ومحاربة النفس والشيطان ، والمحافظة على طاعة الله ورسوله ، والتقرب إليهما بكل الوسائل من فعل ومن عمل .

وقد نهى الله عن إيذاء الصحابة والمؤمنين والمؤمنات ؛ وذلك لقول الله تعالى :

١- خطب الرسول ص ٤٧٠ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

وقد أمر الله ﷻ بحب المؤمنين ، وذلك لقول تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[2]

وقد أمر الله ﷻ الرسول ﷺ بحب المؤمنين ؛ وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ .... ﴾[3]

وحذر الله ﷻ الذين لا يتبعون أوامره من أن ينزل عليهم العذاب الأليم وذلك لقول الله تعالى :

﴿ .... فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[4].

وصحابة رسول الله ﷺ لهم فضل كبير عند الله وعند رسوله ، وذلك لقول رسول ﷺ : " خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم . ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته "[5].

وصحابة رسول الله ﷺ لهم فضل كبير سواءً كانوا المهاجرين أو الأنصار لأن المهاجرين هم الذين تركوا ديارهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله ﷻ .

١- سورة الأحزاب : من الآية ٥٨ .
٢- سورة الشعراء : الآية ٢١٥ .
٣- سورة الأنعام : من الآية ٥٢ .
٤- سورة النور : من الآية ٦٣ .
٥- فتح الباري ص ٣ م٧ .

وكذلك الأنصار الذين وزعوا وقسموا نصف مالهم على المهاجرين حبًا في هذا الدين ، وذلك يقول رسول الله ﷺ " أصحابي كالنجوم يهتدى بهم " ، ولذلك ذكرهم الله في القرآن بقول الله تعالى :

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (1) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :" رأيت في المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا نزعاً ضعيفًا والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت عزبًا ، فلم أر عبقريا يفرى فرية ، حتى روى الناس ، وضربوا بعض " .

وكان الفضل الكبير فضل الرسول ﷺ من الصحابة ومنهم : فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، والعباس عم رسول الله لقول أنس قال " أن عمر بن الخطاب كان إذا قحط الناس استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : " اللهم إن كنا نتوسل إليك بنبيناﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، فاسقنا ، قال : فيسقون (2) .

وعن فضل فاطمة بنت رسول الله ﷺ قال عروة : أن رسول الله لما أخبرها في وجعه الذي توفى فيه فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه ، فضحكت " .

ومن صحابة رسول الله ﷺ حواري رسول الله " الزبير بن العوام" الذي قال رسول الله لبياض ثيابهم .

١- سورة الحشر : من الآية ٦٣ .

٢- رواه البخاري ٣٧١٠ .

فضل الاستقامة والزهد

قال تعالى :

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ .... ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[2] .

ولو أننا نظرنا في هذه الآيات لوجدنا أن هؤلاء المتكلمين في المهد ، من الذين استقاموا لدينهم ، فالسيدة مريم العذراء منذ ميلادها وهى في المعبد لا شغل لها ولا عمل إلا عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، كما برها لأبوها ، وكما عاش هو حتى إن أمها قد وهبت ما في بطنها لهذا المعبد قبل أن يولد ، وقبل أن تعرف أنه ولدًا أو بنتًا وكلام عيسى عليه السلام ابنها في المهد هو معجزات لها ؛ لأنها هي التي أشارت إليه وهى التي اتهمت ، ولولا فضل الله عليها بكلامه في المهد ؛ لنالت من قومها مالا يحمد عقباه ؛ ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا كما أن كلام ابن راعى الغنم المعروف (ابن يونس) ما هو إلا

١- سورة هـود : من الآية ١١٢ .
٢- سورة فصلت : الآيات ٣٠: ٣٢ .

الإخلاص هذا العابد المتضح المعتكف لربه جريج ، الذي اتهمته هذه السيدة الباغية .

كما أن كلام شاهد يوسف الصديق ابن نبي الله يعقوب عليهم السلام ما هو إلا أن الله قد وهبه العلم والنبوة والصدق في الحديث والاستقامة لله ﷻ ، كما كان كلام ابن ماشطة بنت فرعون ما كان إلا نصرًا وتأييدا وعلامة من علامات الصلاح وحسن الخاتمة لهذه السيدة ؛ لأنها قالت ربى وربك ورب أبيك هو الله ، ولم تخش في هذا القول أحدًا رغم ظلم فرعون ورغم ما تتوقع أن يكون منه من العذاب ، وقد كان بالفعل هؤلاء هم الذين استقاموا وزهدوا في هذه الدنيا لأنهم احتكموا إلى العقل وعلموا أن ما كان فيها من الملوك وأصحاب الأموال والذهب والفضة قد خرجوا من هذه الدنيا صفر اليدين ، بل ربما كان هذا المال سببًا في ظلمهم وغرورهم و تكبرهم على الناس مثل ما فعل هامان وفرعون وقارون وغيرهم من الظالمين على الأرض .

واعلموا أن القرب من الله لا يكون إلا بطاعته والبعد عن الذنوب والفواحش التي تغضب الله على فاعلها وتجعله يخسر الدنيا وكذلك الآخرة ، وكما أن أهل الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة بفضل الله ﷻ تبشرهم بالفوز في الدنيا والآخرة ورضوان الله عليهم ، وهم آمنون من عذاب يوم القيامة وتبشرهم بالجنة أو بالمنازل في الدرجات العليا مع الأنبياء والصديقين والشهداء ، وذلك بفضل طاعة الله والاستقامة له.

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(1) .

وكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالاستقامة ، وذلك لقول أبى عمرة قال : قال رسول الله ﷺ عندما سأله هذا الصحابي : يا رسول الله قل لي قولاً في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال رسول الله : قل آمنت بالله ثم أستقم " .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحدًا منكم بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ، قال: ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل " ، كما أن الاستقامة يلزمها الإخلاص في النية والمحافظة على الطاعات والعبادات وفعل الخيرات وذلك لقول الله تعالى :

﴿ .... وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾(2)

لأن المسلم يجب أن يكون مع المسلم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد على سائر المجتمع الإسلامي ، وكذلك المسلم عليه حقوق يجب على كل منهم أن يؤديها قبل أن تطلب منه ، وأن يكون في

١- سورة الأحقاف : الآيات (١٣، ١٤) .
٢- سورة الحج : من الآية ٧٧ .

قضاء حوائج أخيه المسلم كما كان يفعل رسول الله ﷺ ، وكما فعل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

ولقول الصحابي الجليل أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :" من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

كما أن هؤلاء العابدين الخاشعين لله قد زهدوا في الدنيا وكل ما فيها ، مصداقًا لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]

١- سورة يونس : الآيـــة ٢٤ .

ولقول الله تعالى:

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

والشيطان لعنة الله عليه دائمًا يسول للعابد أن العبادة شاقة ، وأنه لا وقت عنده ، ويجعله يفضل بعض أعمال الدنيا على العبادات ، من مشاهدة المباريات، وأنه لا وقت له لأداء الصلاة وغيرها ، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ بالمبادرة بالأعمال الطيبة التي تقرب العبد من ربه مثل قول الرسول ﷺ :

" أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها " ولقول الله تعالى عن الزكاة :

﴿ .... وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ .... ﴾[2]

ويجب على العبد المؤمن التقى أن يتغلب على كل هذه الأعمال ، ويجاهد نفسه ؛ لقول رسول الله عن ذلك عندما عاد من فتح مكة " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وذكر أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر " .

ولقول رسول الله ﷺ عن الدنيا " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " وفى هذا الحديث العديد من التأملات أي أن المؤمن إذا قاوم نفسه وتحمل الطاعات من صوم وحج وإنفاق وقيام ليل ، فهو بذلك من حبس نفسه عن

١- سورة الحديد : الآيــــة ٢٠ .

٢- سورة البقرة : من الآية ١٤١ .

اللعب والهوى في الطاعات ، من أجل رضا الله ، أما الكافر فهو ينعم بكل شهوات الدنيا لذلك جعل الله الدنيا جنته ، ولا ثواب عند الله له بعد ذلك ؛ لأنه عصى الله بهذه الشهوات وهذا المتاع وسوف يبدل بهذه الجنة في الدنيا نارًا في الآخرة بما عصى به ربه .

وهكذا كان صحابة رسول الله يحبسون أنفسهم طاعةً لله عن الشهوات والملذات ، ويسلمون أمرهم إلى الله ﷻ وذلك لقول رسول الله ﷺ " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك ، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " وهكذا كانت حياة الأنبياء لا عمل لهم إلا طاعةً الله والعبادة ، فما انشغل أحدهم ببناء بيت أو جمع مال أو أن يسند إليه منصب ، وها هو رسول الله ﷺ كان لا يكتمل عنده قوت يومه ، وكان يظل ثلاثة شهور لا يوقد في بيته موقدًا على طعام .

فعن عائشة قالت : توفى رسول الله وما في بيتي من شيء يأكله وكبد ، إلا شطر شعير في رف لي ، فأكلت منه حتى طال على فأكلته ففني .

لأن الأنبياء قد علموا أن السلامة من الدنيا هي الزهد فيها ؛ لقول رسول الله ﷺ " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء ".

يقول رسول الله ﷺ عن فضل الزهد في الدنيا لأحد أصحابه " ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ، وازهد في الدنيا يحبك الله " .

ولذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض ".

بل إن بعض الأيام كانت تمر على رسول الله ﷺ وما عنده ما يقوت به نفسه ، وهو أعز خلق الله على الله ، وذلك لقول الصحابي الجليل أنس بن مالك "رهن النبي درعه بشعير ومشيت إلى النبي ﷺ بخبز شعير، ولقد سمعته يقول : " ما أصبح لآل محمد صالح ولا أمس ، وإنهم لتسعة أبيات " فها هو رسول لله وها هي أحواله ، ولو طلب من الله أن تكون الدنيا كلها بين يديه بالحلال لكانت ، ولكنه عرف فضل ذلك وأحب أن يكون مثل أمته ، وقال "لا ، أجوع يومًا فأصبر، وأشبع يومًا فأشكر. والصابر والشاكر في الجنة".

وليس الأمر عند هذا الحد فحسب بل يقول رسول الله ﷺ عن فضل القناعة :

" القناعة كنز لا يفنى "

وقد أمر الله تعالى بالإسراع إلى فعل الخيرات وذلك لقول الله تعالى :

﴿.... فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ .... ﴾[1]

لأن الإسراع إلى فعل الخيرات ومساعدة الناس هو إسراع في الدخول إلى الجنة ، وكلما زاد العبد من فعل هذا الخير زاد الله له من مكانته في الجنة ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[2].

١- سورة الأنعام : من الآية ١٤٨ .
٢- سورة آل عمران : الآية ١٣٣ .

أهم المراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا :

✍ البداية والنهاية	ابن كثير.	ط الأولى ١٩٩٥م دار الإيمان
✍ فتح الباري	لابن حجر العسقلاني.	ط الأولى ١٩٩٥م دار الإيمان
✍ قصص القرآن	سعد يوسف.	ط الأولى ٢٠٠٠م دار الفجر للتراث
✍ الكبائر	شمس الدين الذهبي.	ط الأولى ١٩٨٠م دار الحديث
✍ قصص الأنبياء	ابن كثير.	ط الأولى ١٩٨٠م دار البيان
✍ أعمار الأنبياء	جهاد حجاج.	ط الأولى ٢٠٠٢م الإيمان المنصورة
✍ المعجم المفهرس	محمد فؤاد عبد الباقي.	ط الأولى ١٩٩٥م دار الحديث
✍ نور اليقين	محمد الخضرى.	ط الأولى ١٩٩٥م دار الحديث
✍ خطب الرسول	محمد خليل الخطيب	ط الأولى ١٩٩٥م دار الفضيلة

الفهرس


المتكلمون
في المهد


العلم والإيمان للنشر والتوزيع